

الازياء النسائية

نبذة تاريخية اجتماعية

الازياء النسائية ! ما اكثر عشاقها وأثقل اوزارها ! ما أحسن الجميلة منها ، واسخف السخيف فيها ! ما أعظم سلطانها وأقوى نفوذها ! هي خير معبود تسجد له المرأة العصرية المتعدنة وتخضع له خضوعاً أعشى . هي صارمة كالنظام الحربي ، فالنساء لا يجسرن على مخالفتها ، وان كنّ لم يحلفن لها يمين الطاعة .

اصبحت الازياء النسائية وبالدارج « الموضة » - قسماً من حياتنا الاجتماعية لا غنى لنا عنه في هذه الايام ، واصبح المرء يشعر بسلطان «الموضة» بكل حواسه ، فهو يراها أنى سار - في الشوارع ، في البيوت ، في نوافذ الحوانيت ، واذا اصغى الى حديث النساء اينما كان وجد اكثره يتعلق « بالموضة » ووصاياها ومحدثاتها . فهذه تقول « تلك الموضة قد بطلت » وتلك تقول « هذه موضة دارجة اليوم . الكل يلبسونها » - ومتى قيل « الكل » فاعلم ان هذه الكلمة سحرية يخضع لها جمهور النساء دون معارضة - والاخرى تحدث رفيقاتها بما لبسته هند في الحفلة ، وما اظهرته سعاد من قلة الذوق بلبسها ثياباً من زي السنة الماضية ، وما اقتبسته دعد عن الازياء الاخيرة في باريس ، وما اشبه ...

للموضة تاريخ يرافقه تاريخ العمران ، فهو يبتدىء باوراق التين في الفردوس ويجلود الحيوانات في العصر الصوّافي ويتدرج مع تقدم الانسان في معارج التمدن متنوعاً بازياؤه الغريبة ، المدهشة في بعض احوالها ، المضحكة في بعض اطوارها ، السخيفة في بعض مناظرها . من هذه المناظر الاخيرة ان « الموضة » في بعض العصور كانت ان تعلق المرأة في عنقها قلادة من الاجراس الصغيرة وتلبس ثوباً يتدلى اسفل اكمامه الى الارض ، فكانت اذا مشت دقت الاجراس وكنت اكمامها الارض . وفي عصر آخر كانت « موضة » الرأس ان يؤان بضفائر موءلفة من الشريط النحاسي وشعر الخيل على اشكال شتى ، فكانت النساء يتخطرن وعلى رؤوسهن شبه قوارب وزنايل وقصاع من شعور البراذين .

قبل الثورة الفرنسية لم تكن « الموضة » تتغير الا قليلاً وذلك مرة كل مائة عام . فلما سقطت الملكية في فرنسا حدث انقلاب عظيم في « الموضة » شبيه بالانقلاب السياسي ، فتمردت النساء على الازياء القديمة وطرحن الفساتين المقيية وأطرها والرفادات والحشايا واستبدلنها بالاثواب اليونانية ، ثم أخذن يتجردن شيئاً فشيئاً فابدلن الاقمشة الغليظة باقمشة رفيعة النسيج . وبنذن كل ما لا لزوم له من الملابس وبرزن للناس في غلائل شفافة تضاف اليها احياناً عمامة من الشال الكشميري يزدان بها الرأس . وهذا الزي الاخير (اي العمامة) جاء به نابوليون من مصر مع انواع الشال الشرقي فكان لها رواج عظيم في فرنسا . وصارت النساء على ما وصفنا ، يجلن في الشوارع

متعمات كالاعراب ، شبه عاريات حتى ان الناظر اليهن يخالمن جالسات في الحمام .

وعم حينئذ ظهور النساء في الحفلات الرسمية بالاثواب اليونانية والاردية المطرزة الرومانية والاحذية اليونانية التي اطلقت الرجل من قيود الاحذية الضيقة . على ان هذه الحرية في الملابس لم تدم بل ما لبثت ان عقبها دور ارتجاع عاد بالازياء الى طور التضييق على الاجسام وتقييد الحركات بكل ما هو سخيـف وغير ملائم .

ومن الممكن ان هذا التغير السريع نتج عن تجاوز كثير من السيدات حد اللياقة وفي طبيعتهن فريق من مروجات الازياء وعابداتها . فهؤلاء كن يطرحن الحياء جانباً ويظهرن في المجتمعات والمنتزهات عاريات تقريباً لا يستر اجسامهن الا غلائل رفيعة ، مجردات كل ما يمكن تجريده من المعاري .

هذا التطوح أثار اخيراً اشمئزاز الجمهور فأدى ذلك الى صدمة عادت بالازياء المطلقة الى الوراء وجاء دور ارتجاع عاد بالنساء الى تثقيـل أجسامهن بما لا تقوى على حمله من الملابس . فلم يدم عهد الملابس المطلقة الخفيفة سوى اربعة اعوام بين سنة ١٧٩٥ وسنة ١٧٩٩

ودخلت في تلك الاثناء اشياء غريبة على الازياء . منها ما ادخلته جوزفين بوهارني قرينة نابوليون الحلاسية الاصل من ترصيع الثياب بكثير من الحجارة الكريمة .

وهكذا تدرجت « الموضة » من الثياب النزره التي لم تكن تكفي لستر جسم المرأة الى الثياب الضافية الكثيرة . فزادت كمية القماش التي كانت السيدة تستعملها لثيابها . وازيفت رفارف عديدة الى الاثواب النسائية من المنطقه فنازلاً . ثم اخذ حجم الثياب يتسع في الاسفل حتى أعيد استعمال القسطين المقيبة نما فيها من الاطر الحديدية . وعت القبعات الكبيرة فاشبهت بكبرها سقوف العريات . واصبحت المرأة ضخمة المنظر واسعة الحجم بفضل ثيابها لا تسعها العربة ولا يستطيع احد مناجاتها بامر الا اذا سمعه كل الحاضرين .

وكانت الامراة تحتل ائقال هذه الازياء السخيفة بصبر . فكانت تصبر على ثقل الاطر الحديدية الواسعة في الثياب المقيبة دون تذمر ، بل لو ا قيل لها في تلك الايام أن تطرحها جانباً وتتخذ لها ثياباً كاثواب النساء اليوم لعدت ذلك جنوناً .

وما اكثر ما تحملته المرأة لاجل « الموضة » في اوقات مختلفة ! فقد كان زمن به استعاضت عن شعرها الاصلي بشعور الخيل أو بشعر مستعار لا يعلم أهو شعر ميت ، أو شعر انسان مصاب بداء واييل معد . وكان زمن به اتخذت لها ناصية كنواصي الخيل فأكسبت وجهها هيئة حيوانية . وأولعت في ازمنة شتى باستعمال المرافد المحشوة بالقطن أو بالشعر للاوراك احياناً ولللبطن تارة ، واتخذت الحشايا للجوانب والاكتاف . هذا ما عدا المشد الذي رافق المرأة زمناً طويلاً في تاريخ ازياها ولا يزال حتى الان

من اعظم آفاتنا .

تقلب المشد في تاريخه تقلبات شتى ، فكان حجمه يختلف حسبما تقتضي
الازياء ، فكان طوراً يتضائل حتى يصير منطقة صغيرة من المطاط قليل
اضرارها بالجسم ، وتارة يعظم حتى يضغط على صدر المرأة وخصرتيها
وبطنها فتشبه فارساً من فرسان العصور الوسطى المظلمة متسربلاً بالدروع
الحديدية .

بعد الفساطين المقبية اتجهت « الموضة » الى ما يعاكس ذلك ، فاختذت
الفساطين النسائية تصغر حجماً حتى بلغت منذ عهد قريب منتهى الضيق عند
الرجلين . فظلت المرأة زمناً تمشي كأنها مقيدة . وبعد أن كانت تكس
الارض باذيالها الطول اثوابها صدر أمر « الموضة » بتقصيرها فكادت ان تبلغ
حد الركب .

والمرأة اليوم تضمر نفسها لتظهر نحيفة لقد بحكم « الموضة » الدارجة .
وما اكثر ما تعانيه المرأة السمينه اليوم في هذا السبيل ، فهي لا تدع علاجاً
دون ان تستعمله لتضعف ، وتواظب على الصوم وشرب المياه المعدنية والادوية
المضرة . ومنتهى آمالها ان تصبح ضئيلة القامة كالقصبة التي تحركها الريح
لتجاري رفيقاتها في مضمار « الموضة »

لاجل من تتحمل المرأة ما تتحمله في سبيل « الموضة » ؟ ولاجل من
تتزين وتهندم ذاتها حسب وصايا الازياء الاخيرة ؟ قد تفعل ذلك لاجتذاب
انظار الرجال اليها حين تتوخى ذلك . على ان الارجح انها تفعل ما تفعله

لان سواها من النساء يفعلنه ، لان « الكل » يشين على « الموضة »
باندفاع واستسلام لا يدع سهلاً لتحكيم الادراك .

اما الرجال ولا سيما الازواج منهم ، فلا تسهم « الموضة » الا من جهة واحدة - من جهة حيويهم . فالموضة لا تبقى على دخلهم مهما كان كبيراً .
وطالما قادت المرأة المستسلمة الى « الموضة » زوجها الى الخراب . وطالما اضطر الزوج المسكين لاجل زوجته ان يقامر في البورصة او أن يخالف القوانين ، فيقبل رشوة - مثلاً - اذا كان موظفاً في دوائر الحكومة ، أو يخلس أموال الشركة التي يخدمها ، وقد تدفعه الحال احياناً الى ارتكاب جريمة .
ومن يعلم أن ثمن القبعة من الزبي الاخير يكلف احياناً قيمة يستطيع المرء ان يشتري بها عربة بجوادها ، وأن المشد الجيد الذي لا بدّ للمرأة منه ليضبط اعضاءها ويبرز محاسن قامتها يكلف الرجل راتبه الشهري ، وان ثمن فستان من الازياء الاخيرة يعادل أجرة المنزل لا يعجب مما تقود اليه « الموضة » من النتائج السيئة ، الادبية والمادية .

وماذا يستطيع الرجال فعله امام حكم « الموضة » الصارم ؟ هل لهم الا ان يذعنوا صاغرين معلمين انفسهم باقتراب زمن تثور به النساء العاقلات على « الموضة » ويطرحن احكامها السخيفة ويتخلصن من تقلباتها السريعة ويقنعن بثياب موائقة للذوق والصحة لا تتغير اشكالها كل فصل أو كل عام . وربّ كثيرين من الظرفاء المتزوجين يعاتبون البارئ ، لخلقه للمرأة جسماً غير مكسو بشعر كثيف يفتنها عن ازياء اللباس المختلفة ويفنهم عن

الاهتمام بحساب الخياطة ولائحة بائع البرانيط .

كثرت في الزمن الاخير الحركات النسائية ولا سيما في انكلترا واميركا حيث قامت الامراة تطالب الرجل بحقوقها السياسية وتطلب اشراكها في التصويت ووظائف الحكومة ، وتريد نقض ما حكمت به عليها الاحيالي السابقة من الخضوع . ولكننا في كل مطامح الامراة المنتهذه لم نجد اثراً لمطمح التخلّص من ربقة « الموضة » . فالامراة تتطلب طرح نير العادات والشرائع السياسية عنها ولا تسعى لطرح نير الازياء . ونرى المترجلات الانكليزيات المطالبات بالتصويت يردن قلب نظام الحكومة ولكنهنّ في الوقت عينه يلبسن بموجب « الموضة » ويخضعن لحكم الازياء الصادرة عن رجال يديرون دفتها في باريس .

ولزيادة الفائدة نختم هذا البحث بحديث للمصور الشهير باكست الذي كان لقنه تأثير شديد في عالم الازياء . قال -

« الازياء النسائية ، أو فن اللباس أمر ليس عرضياً أو مخترعاً بطريق الصدفة ، بل بعكس ذلك هو كباقي الفنون الجميلة أمر منطقي لا بد منه . فالموضة لا يخلقها افراد ، بل تنشأ من تلقاء نفسها مدفوعة بروح العصر قبل القرن التاسع عشر كانت الازياء تنمو وتتعاقد على طريقة منطقية دون رجوع الى القديم غير انه في بدء القرن التاسع عشر نشأ الزي المعروف « بزي الامبراطورية » . وما هو سوى عودة الى الازياء القديمة . فظل مسيطراً نحو عشرين عاماً . ومنه تفرقت فيما بعد ازياء شتى معروفة بازياء

سنة الثلاثين والستين .

ولما جاء القرن العشرون دخلت « الموضة » في طور اختلاط وهرج ومرج ،
فاخذت الازياء تتبدل كل اربعة اعوام أو خمسة . وشعر الناس بحينونة
زمن التطلب والتفتيش عن زي يوافق روح العصر .

اما الان فعالم الازياء منقسم الى مذهبين - مذهب العودة الى القديم ؛
والمذهب الحديث . تؤيد الاول فرقة تذهب الى ارجاع الازياء القديمة
الى الاستعمال ، فكأنهم بذلك يقرون بمجزهم عن اختراع شيء جديد ، وقد
هموا منذ عهد قريب بارجاع الثياب المقيمة . وهو امر سخيف ، لا يوافق
الدوق ، يعترضه كثير من الصعوبات . وهل تستطيع السيدة المرتدية ثياباً
من هذا النوع ان تشعر براحة في مركبات الترامواي او الاوتوموبيل . اما
مناصرو المذهب الحديث فهم يسعون لايجاد ثياب ملائمة لروح العصر ،
موافقة للدوق ، وأول شروطها ان تكون مريحة تسهل للابستها كل حركة
كالركض والرقص والمشي والرياضة . وان ثياباً كهذه لضرورية تحتاجها
امراة هذا العصر - عصر الاوتوموبيل والطيارات ، ولا غنى للامراة عنها ،
ولا سيما بعد ان اصبحت تجاري الرجل في اشغاله ، وتدأب مثله على العمل
لتحصل خبزها بعرق جبينها . أجل ان سيدات هذا العصر لفي حاجة الى
ثياب لا تعيق حركاتهن . وليس من يعارضني في ضرورة ايجاد هذه الثياب

اما لباس المستقبل فلست لاستطيع الجزم بما سوف تكون عليه . ولكنني
ارجح ان ثياب الامراة والرجل ستكون في الآتي متشابهة . وسنعود من

هذا القليل الى حيث أثبتنا . فكما كانت الثياب في عصر اليونان الاقدمين
متشابهة للرجال والنساء ، كذا سيصير بنا في المستقبل . ومن يعيش يرّ



الريش الجميل يجعل الطائر جميلاً .

(مثل قديم)

الجمال أحسن ما يكون لباسه اذا ابتزت عنه الملابس .

(فلتشر)

لبسن الوشي لا متجملات ولكن كي يصنّ به الجمالا

وضفرن القمائر لا الحسن ولكن خفن في الشعر الضلالا

(المتنبي)

من الناس من يبتغي على الطوى ويجوع أهله معه ليتمكن من تزيين ظهره

بأثواب فاخرة . والله من قال - ان الديباج والارجوان والمخمل تطفى

(بنيامين فرانكلن)

نار المطبخ .

